أول ثورة في نادى الضباط

- لحساب من كان يعمل أحمد حسنين؟
- خطة الحركة الأولى..!
- أحمد حسنين ينصح...
- حذار.. وليس قنبلة...
- معركة من نوع جديد...
- أين الطريق...؟

www.anwarsadat.org

الحقيقة التى يجب أن يدركها كل من يقرأ هذه الصفحات، أو يحاول دراسة تاريخ هذه الثورة، والخطوات التى مر بها التمهيد لها، هى أن الذين قاموا بها وأعدوا لها، لم يبدو خطواتهم بوعى كامل وأنما تدرجوا فى وعيهم السياسى ، مع الأحداث والأيام...

ولعلهم احسنوا الظن يوما برجل أو جماعة أو حزب.. ولعلهم علقوا على هذا الرجل، أو هذه الجماعة، أو هذا الحزب أملا.. ولعلهم ساروا أشواطا خلف هذا الأكل...

ثم جاءت الأيام، تكشف لهم عن حقائق لم يكونوا يعرفونها، وجاءت الأحداث تطرق أعصابهم طرقا عنيفا يهز كيانهم هزا، ويفتح عيونهم لأدراك جديد، ويوجه خطواتهم إلى طريق أكثر وعيا، وأقرب صلة بالهدف...

والهدف الواحد.. الهدف الكبير الذى لم يتغير، والذى تعتبر كل الأهداف الجزئية فى تاريخ هذه الثورة، وسائل إليه، هو القضاء على الاستعمار، وإزالة كابوسه الجاثم فوق صدر مصر...

وليس غريب فى سبيل الوصول إلى هذا الهدف، أن تلتقى جماعتنا بكثير من الأحزاب والهيئات والأفراد.. فقد كان هذا الهدف، هو البيرق الذى يرفعه كل تشكيل سياسى فوق بآيه ، والذى يخطف بريقه أنظار الشباب المتعطش للخلاص.

وليس غريبا أيضا فى سبيل الوصول إلى هذا الهدف، أن تنأى جماعتنا بنفسها نايا شديدا، عن كل وسيلة يظهر عنصر التضليل فيها، سواء أكانت الوسيلة حزبا، أم جماعة أم فردا.

وقد كانت الفترة التى بدأت بعد حادث 4 فبراير، فترة نشاط ثورى كبير، لا فى جماعتنا وحدها، ولكن هنا، وهناك.. فى الجيش، والجماعات، وطوائف الشباب القومى والحزبى، والتكتلات الصغيرة العلنية والسرية، المدنية والعسكرية.

وكانت هذا الفترة لذلك،محكا للإفراد والجماعات، ومختبرا يظهر معادن النفوس وفرصة للتعاون بين المخلصين

بعد 4 فبراير

كانت فترة عصيبة تلك التى تلت حادث 4 فبراير..

وكانت مجالا لنشاط كبير.. وهنا وهناك..

فقد كان الملك ــ مثلا ــ يظهر أمام الشعب بمظهر الوطنى الذى تحدى المستعمرين، وأراد أن يقود شعبه إلى الخلاص منهم فغلبوه على أمره، واستلوا منه سيفه وصولجانه والزموه قصره كالطير السجين.

وكانت الأحزاب المعادية للوفد، تحاول بنشاطها الخفى والظاهرى، أن تكسب من تصويرها للحادث نفسه ومن نقائص الحكم الوفدى المعروفة ون عطف الشعب على موقف الملك المطعون فى قصره، وسيلة لإكساب الأنصار، وبث الدعاية الحزبية، والتمهيد للثوب إلى الحكم فى ثوب وطنى، بعد أن كانت لا تعرف طريقها إلى الحكم ألا وأنف الشعب راغم تحت أقدام القصر والإنجليز.

وكانت طوائف الشباب المجاهد المختلفة الاتجاهات، قد زج بها فى السجون والمتعقلات ومستشفيات المجانين...

وبقيت خارج الأسوار جماعة الأخوان المسلمين من ناحية

وجماعات صغيرة ضئيلة العدد من الشباب الساخط تجتمع لتذكر وتزداد سخطا، أو تجتمع لتدبر أمرا كهذا الذى كنا ندبره والذى اعتقلت بسببه واعتقال معى عزيز المصرى.. وآخرون..

جماعات .. واتجاهات

كنت أنا إذن أعمل من ناحية..

وكان الأخوان المسلمون يعدون أنفسهم على النحو الذى تحدثت منه فى بعض الصفحات السابقة..

وكانت هناك اجتماعات متفرقة تعقد هنا وهناك، وتضم شبابا ثائرا ساخطا..

فمن هذه الاجتماعات مثلا ، اجتماعات كانت تعقد فى حى الزيتون صمت عددا من ضباط الجيش من بينهم الصاغ كمال الدين حسين، القائمقام صلاح حتاته مدير سلاح المشاة الآن.. وكانا إذ ذاك لا يزالان صغيرين سنا ورتبة..

واجتماعات أخرى كانت تضم اليوزباشى مصطفى كمال صدقى وعددا من الضباط وضباط الصف، على نحو سنفصله على صفحات قريبة .

كان كل يعمل فى طريق.. وكانت أغلب الخواطر تتجه ناحية القتل والإرهاب. قتل الإنجليز وأعوانهم، فلم يكن هناك متنفس حقيقى للثورة المكبوتة فى الصدور.. ولم تكن هناك آمال واضحة تدعونا إلى التريث والتفكير، أو تستطيع أن تحدد خطواتنا إليها فى أتزان.. كنا قد فقدنا كل صمام يحمينا من الانفجار، حتى صمام التعزى بالأمل...

وكان جمال وعبد الحكيم فى ذلك الوقت، كسائر هذه الجماعات الشابة الساخطة، يحاولان أن يصنعا شيئا..

ولكى الميزة التى أمتاز بها جمال، ميزة الصبر والتريث والتفكير الكثير.. استطاعت أن تنأى بهما وبمجموعة أصدقائهما عن كل عمل طائش، أو خطوة غير مأمونة..

الحركة الأولى

حتى كان عام 1944.. أى بعد أن قضت وزارة النحاس فى الحكم ما يقرب من العامين.

وكان قد أصبح واضحا أن هذه الوزارة قد وطنت نفسها على تسليم كل ما يطلبه الإنجليز إليها.. وأن الملك قد أصبح عاجزا عن كل مقاومة... وأن مقاليد الحكم الداخلى نفسه فى مصر، قد وضعت نهائيا بين يدى تشرشل رئيس وزراء إنجلترا..

ولم تعد الأعصاب، تستطيع مزيدا من الاحتمال...

ولقد أصبح هذا الوضع الشائن مثارا لأحاديث بين الضباط فى كل مكان.. الكل يتكلم.. الكل يهمس.. الكل يفكر..

ورأى جمال أن فى الإمكان استغلال هذه الحركة الواسعة من الهمس والنشاط والسخط فى دوائر ضباط الجيش، بتحويلها إلى حركة موحدة واضحة، وسيلها معارضة هذا اللون من الحكم، وهدفها تحدى الإنجليز..

واشترك جمال وعبد الحكيم فى تنظيم هذه الحركة وأعداد العدة لكل احتمال..

ثم أتفق جمال وعبد الحكيم على ألا يظهرا بصورة واضحة فى هذه العمليات، على أن يكون عبد الحكيم هو المحور الظاهر فيها..

ومرت أيام، فوجئ بعدها أعضاء مجلس إدارة نادى ضباط الجيش، وكبار اللواءات والقواد فيه، بدعوة موجهة إلى الضباط لعقد اجتماع عام فى النادى للبحث فى شئون البلاد والحكم...

ثم فوجئوا بعدد ضخم من الضابط يحضر هذا الاجتماع فى موعده...ثم فوجئوا بمناقشات سياسية واضحة، وخطابات جريئة، وقرارات لتخذ...

وقام اللواءات يحاولون الاعتراض على هذه الحركة وهذه الخطابات السياسية، وهذا النشاط الذى لا تقره تقاليد الجيش..!

وإذا بعاصفة من السخرية والتحدى تثور فى وجوههم، من جانب الضباط الصغار.. وإذا بالاجتماع يواصل برنامجه الموضوع له، رغم هذا الموقف من اللواءات المسيطرين على الجيش والنادى جميعا..

نصيحة حسنين

وانتهى هذا الاجتماع بتشكيل لجنة من ضباط مختلف الأسلحة، كان من أعضائها الصاغ صلاح سالم، ولم يدخل اللجنة جمال ولا عبد الحكيم، طبقا للقرار الذى اتخذاه من قبل..

وكلفت هذه اللجنة من قبل الضباط المجتمعين جميعا بالتوجه لمقابلة المرحوم أحمد حسنين (باشا) للتفاهم معه فيما يمكن عمله لوضع حد لهذا الحكم الإنجليزي السافر فى البلاد.. وإفهامه أن الضباط جميعا مستعدون لآى أمر، مهما كان هذا الأمر.. أنهم إذا يلجأون إليه فى هذا السبيل. أنما يريدون بذلك أن يوجههم الوجهة الشديدة التى تضمن الا تضار مصلحة البلاد بشئ...

وذهبت اللجنة فعلا إلى المرحوم احمد حسنين وقابلته فى مكتبه.. وناقشته كثيرا.. ولكنه خذلهم.. وأضاع هذه الجهود التى جمعتهم وكتلتهم، بنصيحة واحدة وجهها إليهم، ثم تشبث بها تشبثا شديدا.. هى الا يقوموا بأى عمل من أى نوع كان ــ فى نظره ــ غير مناسب الشيء.

وعادت اللجنة بهذه النصيحة.. ولم تكن تعلم، ولا كان أحد فى البلاد بعلم بما كشفت عنه الوثائق والوقائع بعد ذلك من الأسرار..

وعندما تكلمت الوثائق والوقائع، أثبتت أن أحمد حسنين.. وأنه فاروق، ورئيس ديوانه وظهيرة ومرشده يوم حادث 4 فبراير، وقبله، وبعد.. والرجل الأول فى القصر المعتدى عليه.. أحمد حسنين هذا، كان طوال حكم الوفد فى تلك الفترة، يتصل بالإنجليز.. لا لمصلحة البلاد.. ولكن لكسب ثقتهم فيه كحاكم جديد، يستطيع أن يقضى لهم من المصالحى ما كان الوفد يقضيها.. وأن ينفذ لهم سياستهم" الديمقراطي" فى حكم البلاد وتوجيهها...

أحمد حسنين كان يريد أن يكون بطل 4 فبراير الثانية.. ولكن بغير دبابات.!!

ومع ذلك، فلم تكن شكوكنا فى أحمد حسنين قد بدأت فى ذلك الوقت ولم نكن لذلك أن نجد تحليلا سليما لموقفه..

وعندما علم الضباط بهذه النصيحة، هاجوا وماجوا.. واوشكوا على الانفجار..

سباب فى الطريق

وكان لابد من صمام أمن آخر...

ولم يكن صمام الأمن هذا سوى التفتيش.. التنفيس بالقول: بالصوت، بالكلام.. ما دامت الكتابة ممنوعة، والأعمال الإيجابية...لا يرضى عنها الرجل الأول فى قصر الملك..

وتم الاتفاق على أن يخوض الضباط معركة من نوع جديد.. معركة لا تجمع فيها ولا تكتل ولا منشورات، ولا اعتداءات.. معركة ليست بالفردية، ولا بالجماعة، وأنما هى جماعية الحقيقة فردية المظهر.

ورأت القاهرة ضباط الجيش، بملابسهم الرسمية، يختلطون بالناس فرادى، فى المقاهى والمجتمعات، وعربات الأتوبيس والترام ... وساعات الصلاة.. ويثيرون مسائل الحكم. ويوجهون السباب علنا، للإنجليز والوزارة التى أقامها الإنجليز..

الصورة

ولم يكن المراد بهذه العملية، مجرد أثارة الشعور الشعبى ضد الإنجليز وضد حكومة النحاس.. ولكن كان الغرض منها أشعار الإنجليز والحكومة نفسهما، بأن ضباط الجيش قد فاض بهم، وأنهم قد أصبحوا على استعداد لاى شئ...

حذاء.. لا قنبلة

وظلت القاهرة تسمع هذا السباب العلنى وترى هذا التحدى السافر من صغار الضباط فترة طويلة من الوقت.. حتى كان حادث، لم يكتف فيه بطله" الضابط" بكلمات السباب والتجريح...

كان النحاس ذاهبا لصلاة الجمعة بمسجد الرفاعى....

وما أن انتهت الصلاة وخرج النحاس ليركب عربته، الا وتقدم منه ضابط شاب من السواحل هو أبو شبانه وألقى بحذائه على عربة النحاس ويبدو أنه لم يستطع أن يسدد قذيفته جيدا على العربة، فقد أخطا الحذاء عربة النحاس، والتقى بعربة عبد الحميد عبد الحق...

وثارت ثائرة الحكومة ورجالها.. وظن البعض أن الحذاء يخفى قذيفة من نوع آخر أشد خطرا وفتكا.. فارتاعت القلوب، وهلعت الأفئدة، وحو قلت الألسنة، وبسملت الشفاه. وأنتهى الآمر بالقبض على الضابط.. صاحب الحذاء..

... ومحاكمات!

وفى ثوان معدودة، كان الفريق حمدى سيف النصر" باشا" وزير الحربية، قد أبلغ بنبأ العدوان الأثيم.. وفى الدقائق التالية، كان قد توجه إلى وزارته وجمع هيله وهيلمانه، وقرر عقد مجلس عسكرى مستعجل لمحاكمة هذا الضابط المقبوض عليه..

ولاول مرة عقد المجلس العسكرى، فى الدور الأسفل من وزارة الحربية.. وجئ أمامه بالضابط المتهم.. وشرع فى محاكمته على وجه السرعة، بينما كان حمدى سيف النصر فى غرفة مكتبه، يستجوب الشهود بنفسه قبل أن يمثلوا أمام المجلس، ويلقى إليهم بتفاصيل ما يشهدون به، ويهددهم بكل تهديد مستطاع!

وليس أمر هذه المحاكمة، هو ما يهمنا فى هذه الصفحات، فقد كان الضباط جميعا فى انتظار محاكمات مثلها، لكل منهم.. وكانت كل كلمة مما كانوا يقولون علنا فى الطرقات والمجتمعات كافية لادانه قائلها.. وسامعيها!.

ولكنها حادثة من الأحداث، التى وقعت فى تلك الأيام، نتيجة لعدم اكتمال الوعى السياسى فينا...

فحقيقة كنا إلى ذلك العام، نأمل كثيرا فى وطنية الملك... وكنا نصنع كل هذا، لمقاومة الإنجليز فى شخص الحكومة التى فرضوها.

ولكن عاما واحدا لم يكد يمر بنا، حتى أدركنا أننا كنا على خطأ عظيم وحتى تغيرت فكرتنا تغيرا كاملا، وأصبح واضحا أمامنا أن كل شخص ممن كنا نعرفهم، ونعلق الآمال عليهم، كان يضع مصلحة البلاد تحت كعب حذائه، وأنهم جميعا كانوا يعملون فى سبيل تقوية نفوذهم، والوصول إلى مقاعد الحكم، والسيطرة والسلطان...

حتى الملك المطعون فى قصره، أدركنا من أمره مالم نكن ندركه ، وما لم نكن نتصور حقيقته...

وحتى الأحزاب التى لبست أثواب الملائكة، لم نكن نستطيع أن نتصور مدى القذارة الموغلة فى أبدانها تحت هذه الأثواب البيضاء الناصعة...

أين الطريق

الكل سواء...

الكل يعمل لنفسه..

الكل لا يهتم بمصلحة البلاد فى شئ...

الكل على استعداد للبيع.. والتسليم..

الكل عدو لمصر.. صديق لاعدائها..

والظلام كثيف..

لا أمل فى الملك.. ولا أمل فى الأحزاب..

والأمل الوحيد قد يخالج خيالنا فى وجوه جديدة مجهولة.. وجوه خرافية تصنعها أوهامنا ، وتتمنى أن تلقاها على مسرح الحياة..

ولكن.. أين الوجوه.ز وأين مقام هذا الأمل، فى عالم الحقيقة...

هذا ما لابد أن نصل إلى جواب إليه..

ولكن كيف تستطيع هذه الوجوه أن تظهر والظلام كثيف..

لابد أذن أن ينقشع الظلام..

ولكن.. كيف ينقشع الظلام؟

هذا محور التفكير الذى أدى إلى تشكيلات كثيرة عسكرية وشعبية.. تناولها هذه الصفحات.....

www.anwarsadat.org